المحاضرة رقم (02): أهمية المصادر في تاريخ الجزائر الحديث

أهمية المصادر الأوروبية في كتابة تاريخ الجزائر العهد العثماني نموذجا:

في الحقيقة يذكر الباحث حميد آيت حبوش عن هذا الأمر فيقول: "إنه من العسير الخوض في تاريخ الجزائر العثمانية دون الإطلاع على ما كتبه الأوروبيون من رحالة، قناصل، جواسيس، رهبان، سياح ومغامرين وأسرى، الذين هم أجانب ودخلاء عن المجتمع الجزائري أقاموا بين أحضانه فترة من الزمن تركوا انطباعاتهم التي أصبحت مصدرا مهما في كتابة تاريخ الجزائر العثماني، وقسم كبير من هذه المصادر لا يمكن أن نستغني عنها أبدا ففي كتب هؤلاء الأوربيين شهادات وأوصاف وتواريخ مضبوطة وإحصاءات وقوائم حكام وتحليلات لحوادث خطيرة وتقارير وتفاصيل لا نجدها في غيرها من هذه الكتب.

أ- ومن الأمثلة عن الرحالة نجد: ج.آو.هاسترايت، رحلة العالم الألماني ج.آوها سترايت إلى الجزائر وتونس 1732 وطرابلس، ترجمة سعيدوني.

2- رحلة جون أندري باسيونال إلى الجزائر 1725.

3- رحلة توماس شو الطبيب الإنجليزي 1720- 1732.

ب- ومن الأمثلة عن القناصل نذكر:

1- وليام شالر، مذكرات قنصل أمريكا في الجزائر (1816- 1824) ترجمة إسماعيل الغربي.

2- جيمس ليندر كاثكارت: مذكرات أسير الداي وقنصل أمريكا في الجزائر 1785.

3- فونتير دي بارادي، الجزائر في القرن 18 م.

4- فيليب سيزار فاليار، الجزائر سنة 1781.

ج- الجواسيس: الجاسوس بوتان : إستطلاع المدن.

د- الرهبان: 1 الأب بيير دان، تاريخ بربارية وقراصنتها ، 2 كامولين فرانسوا وآخرون، رحلة من أجل إفتداء الأسرى في الجزائر وتونس (1720).

هـ- السياح: 1 ليسور وويلد، رحلة طريفة في إيالة الجزائر (ترجمة محمد جيجلي).

و- الأسرى: دييغو دي هايدو، طبوغرافية وتاريخ الجزائر العام (1572-1580).

وما يجب ذكره في هذا الشأن ما يلي: "يجب الحذر من الأخذ في الأخذ من هذه المصادر وكما هو معلوم فإن معظم كتابات الأوربيين عنا كانت من وجهتهم وحسب معتقدهم وإنطباعاتهم فيها الكثير من الزيف كما فيها أيضا العديد من الحقائق عن تاريخ الجزائر في الفترة الحديثة".

وفي سياق آخر نجد الدكتور حنيفي هلايلي في مقالة كتبها وذكر فيها ثنائية توظيف المصادر المحلية والأوروبية في كتابة تاريخ الجزائر في العهد العثماني من خلال دوفولكس ودوغرامون يقول ما يلي: "لأمد بعيد ظلت المصنفات الأوروبية والوثائق الأجنبية السبيل الوحيد لدراسة تاريخ الجزائر في العهد العثماني وبالرغم من غياب الوثائق العثمانية والمصادر المحلية سواء المكتوبة بالمصادر العربية أو التركية عن هذه الدراسات إلى أنها كانت حاضرة".

لقد ظل الأمل معقودا على استغلالها لإماطة اللثام عن مجموعة من القضايا التي ظلت عسيرة الفهم وصعبة التفسير في ضوء الاعتماد الأحادي على النصوص الأجنبية، وقد تميز هذا المؤلف بالعدد الهائل من الوثائق العثمانية التي اكتشفها حيث قام بضبطها ودراستها ونشر العديد منها في كتب وفي مقالات ومجالات علمية محكمة وعلى هذا الأساس كانت محاولاته الأولى في توظيف المصادر المحلية في تاريخ الجزائر العثمانية.

وبالمقابل فإن هنري دوغرامون رفض وبشكل قاطع الاعتماد على المصادر المحلية في كتابة تاريخ الجزائر في العهد العثماني وشكك في مصداقيتها واتهمها

بالتجريد والمبالغة ونادى بالاعتماد على الرحلات الأوروبية وأرشيف الدول الأوروبية والمذكرات ومراسلات القناصل وانطباعات الرهبان والجواسيس وعليه فمعظم كتابات دوغرامون تهدف إلى خدمة الاستعمار.

- **الأهمية السياسية للمصادر في تاريخ الجزائر الحديث:** تتحدث مصادر تاريخ الجزائر الحديث في الجانب السياسي عن أمور عديدة نحوصلها فيما يلي:

– فيها نوعية نظام الحكم الإداري وما تميز به من تسميات للمراحل والتحولات السياسية وكيفية حدوث تلك التحولات.

– تعطينا لمحة عن بعض الشخصيات السياسية لحكام الإيالة والمقاطعات.

– فيها أسماء ومهام الموظفين السياسيين والإداريين الذين عرفتهم الجزائر في تلك الفترة.

– تخبرنا بحالة الاستقرار السياسي وحدوث الثورات والمعارك وبحالة اللأمن إن وجدت وتأثيرها على الجانب السياسي.

– فيها بعض العلاقات السياسية مع دول الجوار (تونس والمغرب) مع الدولة العثمانية التبعية والانفصال ومع أوروبا وحتى الولايات المتحدة الأمريكية وباقي دول العالم.

– تخبرنا عن بعض العادات والبرتوكولات السياسية في الاستقبال، التواصل بين الدول.

–قد نعثر في المصادر عن بعض القوانين والفرمانات التي تنظم الجانب السياسي سواء داخل الجزائر أو خارجها.

– تخبرنا عن انعقاد الدواوين (الديوان الكبير والديوان الصغير) ومجريات ذلك والقضايا التي تدرس حينها.

– تخبرنا المصادر عن كيفية إجراء الانتخابات في الديوان بالأغلبية وحدوث ذلك الصراع بين العديد من السياسيين.

➢ **الأهمية العسكرية لمصادر تاريخ الجزائر الحديث:** ونجد فيها ما يلي:

– تحدثت المصادر عن الحياة العسكرية في الجزائر (الأكل والشرب واللباس ونظام الخدمة العسكرية).

– تحدثت المصادر أيضا عن الرتب وأهمية كل رتبة ودورها في الجانب العسكري من الجندي البسيط إلى الآغا.

– نجد فيها وصف الثكنات والأبراج وقلاع الحراسة وكل ما من شأنه أن يزيل الستار عن هذا الجانب.

– نجد فيها نوع السلاح وكيفية استخدامه وأنواع السفن الحربية وكيفية استعمالها، صناعة البارود والبنادق وغيرها.

– تخبرنا بسيطرة الإنكشاري (العسكري) على مجريات الأحداث إبان العهد العثماني.

– تقر هذه المصادر بأن المؤسسة العسكرية في الجزائر هي مصدر للمشاكل والقلاقل والاضطرابات.

– تعطينا صورة تكاد تكون واضحة عن مرتبات الإنكشارية وكيف تقدم لهم خلال شهرين قمريين.

– أفضيلة العسكري الإنكشاري على باقي الطبقات والفئات مهما كان نوعه.

– تبين لنا المصادر علاقة العسكريين بالمدنيين في المجتمع الجزائري بين الفينة والأخرى.

➢ **الأهمية الاقتصادية لمصادر تاريخ الجزائر الحديث :**

تخبرنا مصادر تاريخ الجزائر الحديث بالمعلومات الاقتصادية في غاية الأهمية منها ما يلي:

– كيفية استخلاص الضرائب في قضية الدنوش الصغرى والكبرى.

– خروج المحلات من مدينة الجزائر دار السلطان ومن قسنطينة ووهران والتيطري إلى داخل الجزائر لغرض اقتصادي.

– فيها من النشاط الحرفي وكيفية توزيع الأسواق والحرف في المدن بالتفصيل الدقيق.

– وجود الصناعات التقليدية (الحرفية بكثرة) خصوصا في المدن الكبرى الجزائر وقسنطينة والمدية ومعسكر ووهران.

– تحدثت عن العملة وأنواعها الذهبية والفضية والنحاس وغيرها وقيمة كل عملة.

– تحدثت المصادر عن أنواع الأراضي المختلفة في الريف وكيفية استغلالها وحتى في أحواز المدن، أراضي الوقف وأراضي البايلك وغيرها وفيها من المعلومات والمعارف عن الجانب الزراعي، الصناعي والتجاري ما قد يوضح الصورة في تلك الفترة.

– تحدثت المصادر عن الصادرات والواردات والميزان التجاري في بعض فترات الحكم العثماني وكيفية تأثير ذلك على النظام السياسي.

– تحدثت عن المنتوجات الفلاحية وعن الأقاليم المناخية والثروة الحيوانية وحتى المنجمية التي كانت تزخر بها الجزائر في تلك الفترة.

– تحدثت عن أهمية البحر الأبيض المتوسط في إغناء الخزينة العمومية خصوصا في الفترة الأولى من الحكم.

➢ **الأهمية الثقافية لمصادر تاريخ الجزائر الحديث:**

– تحدثت المصادر عن اللغة وأنواعها وكيفية التواصل والتخاطب بين أفراد المجتمع وفئاته في مدينة الجزائر وفي مدن أخرى واللغة الفرنسية كانت موجودة خصوصا بين الأسرى بكثرة ناهيك عن وجود اللغة التركية واللغة العربية وباقي اللهجات الأخرى.

– تحدثت المصادر عن بعض العادات والتقاليد في المناسبات في الزواج والختان والأفراح وفي مناسبات عديدة.

– تحدثت عن العادات والتقاليد في اللباس والأكل والشرب ونمط التفكير والممتلكات والثروات.

– تحدثت عن الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ومظاهر الفرح في العيدين وفي رمضان وليلة القدر.

– تحدثت أيضا المصادر عن المدارس والزوايا والمساجد والكتاتيب وكل مؤسسات الحياة الثقافية.

– تحدثت المصادر عن ختم القرآن الكريم وحرص الأولياء على تحفيظه لأبنائهم وعادة الاحتفال بختمه.

– تحدثت المصادر عن أنواع الكتب والمخطوطات والعلوم التي كانت تدرس وعلى وجه الخصوص الشرعية (النقلية) مثل: علم الحديث والتفسير وأصول الدين والفقه والنحو وعلم اللغة...

– تحدثت المصادر أيضا عن التعايش المذهبي وحرية المعتقد التي كانت معروفة في الجزائر في تلك الحقبة.

– فيها صور ومعلومات ومعارف عن الحياة الثقافية وكل ما من شأنه أن يوضح أو يسهل معرفة الجانب الثقافي.

– تحدثت المصادر أيضا عن المرأة وزينتها ودورها في الجانب الثقافي.

➢**الأهمية الاجتماعية لمصادر تاريخ الجزائر الحديث :**

تحدثت المصادر عن الجانب الاجتماعي في أمور عديدة نذكر منها:

- حديثها عن طبقات المجتمع الجزائري وفئاته وتمايز فئاته.
- تحدثت المصادر عن تهميش العنصر المحلي في تولي المناصب مهما كان نوعها إلا القليل منها.
- تحدثت المصادر على استحواذ الأتراك عن أهم الوظائف والمناصب.
- تحدثت المصادر على سيطرة اليهود عن الجانب التجاري.
- تحدثت المصادر على أفضلية الأحناف عن المالكين.
- تحدثت أيضا عن عدم كثرة سكان الريف وقلة سكان المدن.

أهمية مصادر تاريخ الجزائر الحديث في جوانب أخرى ومنها نذكر:

- قضية افتداء الأسرى وكيفية حدوث ذلك حيث أن (مبلغ فداء الأسير يتوقف على مهنته والفئة التي ينتسب إليها).
- تحدثت المصادر عن معاملات الأسرى.
- تحدثت المصادر عن علاقة العلماء بعضهم ببعض وعلاقتهم مع السلطة العثمانية.
- تحدثت المصادر عن الجانب العمراني في المدن من حيث مواد البناء والهندسة والغرف والمطابخ والساحات والمداخن والأروقة والأعمدة وغرف الاستقبال ودور السقيفة.
- تحدثت عن الحمامات والعيون ونوعية المياه داخل المدن وخارجها وعن النظافة بالنسبة للأفراد والعائلات وحتى كيفية حدوث ذلك في المدن والأحياء.
- يبدو أن الوثائق الأرشيفية بمختلف أنواعها فيها من المعارف والمعلومات المهمة والمفيدة عن تاريخ الجزائر الحديث في شتى مناحي الحياة لأننا قد نجد فيها جانب

سياسي ومعلومات اقتصادية وأخبار ثقافية وعسكرية وقضايا اجتماعية ودينية في غاية الدقة.

✓**ملاحظة:**

هناك مصادر تحوي معلومات متنوعة ومتفرقة في شتى الجوانب مثال كتاب فليار وكتاب المرآة لحمدان بن عثمان خوجة، كتاب وصف إفريقيا لحسن الوزان وكتاب إفريقيا لمارمول كاربخال وهناك من المصادر ما نجد فيها معلومات خاصة بجانب معين مثل: بن رقية التلمساني في الزهرة النيرة فيما جرى للجزائر حين أغارت عليها جنود الكفرة أو ما كتبه ابن الشاهد: قانون أسواق مدينة الجزائر (1695-1705).

وهناك من المصادر ما نجد فيها معلومات تخص جانبين أو ثلاثة مثل ما دونه الحسين الورثلاني "نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار".